قراءة في مفهوم:
الحضارة والفن والجمال من منظور إنساني

د/ جمال مباركي
جامعة بسكرة –الجزائر

ملخص:
يتناول هذا المقال في موضوعه؛ مفهوم الحضارة والفن والجمال في منظور الحضارتين الغربية و العربية، ويسعى إلى إبراز نظرة كل منهما إلى قيمة الفن والجمال، في بناء الحضارة، ويقف عند أو جه التشابه و الاختلاف في هذه الرؤية تبعا لتصور كل منهما للكون والحياة.

Resumém :
Cet article prend comme sujet le concept de la civilisation, l'art, et l'esthétique dans les deux civilisations occidental et arabe ,la ou il tente à démontrer, la vision de tout les deux , envers la valeur de l'art et l'esthétique. Dans la structuration de la civilisation, en s'arrêtant , vis-à-vis des déférences, et les ressemblances, dans cette vision qui dépend à la perspective de chacun d'eux envers l'univers et la vie.

كثيرا ما نقرأ في كتب علم الجمال وفلسفة الفن أن كل الحضارات الإنسانية لها اهتمام وافر بالجمال، وأن الحضارة الغربية الحديثة قامت بفضل فكرة انتشرت في أوروبا منذ القرن السادس عشر (ق16) هي فكرة الجمال أو الحسن (L'idée du beau) التي ساهمت مساهمة كبيرة في بعث العلوم والفنون وصقل الإنسان. وهكذا انبعث علم الجمال مرة أخرى باعتباره أحد الأنظمة المعرفية المعيارية التي هي: علم الأخلاق والمنطق والجماليات، وتدرس الخير

والحق والجمال[1].وفي هذه الدراسة سنركز على مفهوم كل من الحضارة والفن والجمال في الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية.

فما الحضارة؟ وما الفن؟ وما الجمال؟

1- مفهوم الحضارة: هناك اختلاف بين الدارسين حول مفهوم كل من الحضارة من جهة ومفهوم كل من المدنية والثقافة من جهة أخرى، فكثيرا ما يراعي الباحثون في منح أمة ما صفة حضارة، عراقتها وتجذرها في التاريخ، فنقول عن الصين أو الهند أو فارس أو مصر، إنها دول ذات حضارات، ونسلب هذه الصفة عن الولايات المتحدة الأمريكية مع أنها في الحاضر أكثر تقدما، فنقول عنها ذات مدنية، ولكن ليس لها حضارة لأن تاريخها لا يمتد لأبعد من الكشوف الجغرافية.

- كما ميز بعض الدارسين بين الحضارة والثقافة، فجعلوا الأولى متعلقة بالجوانب العلمية المادية، بينما اختصت الثانية بالجوانب الفكرية، غير أن كتابا آخرين مثل تايلور يستخدم لفظ Culture بمعنى حضارة، فجعل اللفظ Civilization و Culture مترادفين[2].

- وفي إعلان مكسيكو بشأن الثقافة عام 1982 عرفت بأنها "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات، والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائنا يتميز بالإنسانية المتمثلة في العقلانية والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، وعن طريقها (الثقافة) نهتدي إلى القيم ونمارس الاختيار. وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه،

والتعرف على ذاته كمشروع غير مكتمل، وإعادة النظر في إنجازاته، والبحث دون توان عن مدلولات جديدة وإبداع أعمال يتفوق فيها على نفسه[3].

- ومن مفاهيم الثقافة أيضا، أنها "مجموعة النشاط الفكري والفني في معناها الواسع، وما يتصل بها من مهارات أو يعين عليها من وسائل، فهي موصولة بمجمل أوجه الأنشطة الاجتماعية الأخرى، مؤثرة فيها متأثرة بها، معينة عليها مستعينة بها، ليتحقق بذلك المضمون الواسع لها، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب سعيه الحضاري"[4].

- ويعرف أحد الباحثين الثقافة بقوله: "العبقرية الإنسانية، مضافة إلى الطبيعة، بغية تحرير عطاءاتها وإغنائها وتنميتها. وتدل أيضا على انكباب الإنسان بصورة منهجية على تنمية ملكاته الفطرية بدراسته الآداب والعلوم والفنون. وعلى الصعيد الاجتماعي تدل كلمة الثقافة اليوم على جملة الوجوه الفكرية والأخلاقية والمادية والمذاهب القيمية وأساليب الحياة التي تميز حضارة من الحضارات"[5].

- أما المثقف : فهو ذلك الإنسان الذي يتمثل قيم الثقافة العليا، ويسعى عبر نشاطه النظري والعلمي إلى إنجاز تطلعات الثقافة في الواقع الخارجي. ويعرف المفكر العربي هشام جعيط المثقف، بأنه: "هو الذي يبدع ويخلق ويمثل دورا في ربط الثقافة بالواقع الفكري أو السياسي، وهو الذي يمارس نشاطا نظريا أو فكريا أو علميا أو جميع هذه المفردات، فالنشاط الفكري والنتاج المعرفي هما العمود الفقري في تحديد المثقف"[6].

- وحسب الأستاذ مالك بن نبي فإن الثقافة تشتمل على أربعة فصول:

فصل أخلاق، وفصل جمال، وفصل منطق عملي، وفصل علم، وإن الترتيب بين هذه الفصول "يختلف باختلاف الدوافع التي تدفع إلى العمل، وليس باختلاف الأصول النظرية والوسائل الفنية. هذا يعني أن ذاتية الثقافة في نوعها تقوم على

تقديم أو تأخير مبدأين اثنين منهما، هما: مبدأ الأخلاق ومبدأ الجمال، فالأولوية التي يمثلها أحد المبدأين في تركيب الثقافة يحدد ذاتيتها، كما يتحدد به اتجاه عام للحضارة التي تستند إلى تلك الثقافة"[7].

فالحضارة الغربية تقدم مبدأ الجمال، أما الحضارة الإسلامية تقدم مبدأ الأخلاق.

2- مفهوم الفن: يشكل الفن لغزا تاريخيا قديما لا يزال حتى الآن موضوع جدل ونقاش، وأكثر ما يميز الفن عن غيره من العلوم كالفيزياء والرياضيات أو حتى التاريخ، مثلا أن الفن من سماته التكثيف، فهو واحد وكثير، قديم وجديد، صامت ومتكلم، يجمع بين المتناهي واللامتناهي، بين المرئي واللامرئي. وفي الفن تكمن مغامرة الحرية، يعلمنا الفن الحرية في لحظة إبداع، إنه يحمل إلينا الحرية كالغيمة تحمل مطرا، وهو يدعونا إلى باب الحرية كالطير يدلنا على باب الصباح... **صباح الجمال**... الذي يطلع مع عالم الشمس[8].

جاء في المعاجم العربية تفنن الشيء: تنوعت فنونه، وتفنن في الحديث، أخذ في فنون وأساليب حسنة من الكلام.

واستفن فرسه: حمله على فنون من المشي أو الجري أو التنويع فيه.

والفن (مص) والجمع: أفنان وفنون، وجمع الجمع أفانين: الضرب من الشيء أو النوع، وهو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة، فيرتفع به إلى مثل أعلى تحقيقا لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل، تلذيذا للعقل والقلب[9].

أما في اللغات الأجنبية، فقد جاء الجذر اللغوي الخاص بكلمة فن (ART) في الإنجليزية وفي العديد من اللغات الأوربية من الجذر اللاتيني (ARS)

ويعني المهارة في الشيء ومازال هذا المعنى– الأصل– ملازما لمعنى أو جوهر الفن حتى الآن. وقد سمي الفنان بالرجل الماهر في عمل آلي صعب (كالساعاتي مثلا)، ثم ذلك الذي يعمل في عمل تتآزر فيه كل من العبقرية والخيال التي تتخذ من الطبيعة موديلا ومن الذوق معلما ومن المتعة هدفا[10]. ومن هذا الفهم للفن جاء مصطلح الفنون الجميلة، وهي ما كان موضوعها تمثيل الجمال كالموسيقى والتصوير والشعر والبلاغة والنحت والعمارة (أو فن البناء) والرقص، وتقسم الفنون الجميلة إلى ثلاثة أقسام:

- **الفنون اللذيذة، والفنون الحرة، والفنون اليدوية أو الحيلية.**
- 1– **الفنون اللذيذة:** هي التي يشعر مزاولها بلذة عند مزاولته إياها، كالرقص والموسيقى والغناء وركوب الخيل.
- 2– **الفنون الحرة:** هي ما كان فيها عمل الفكر أكثر من عمل اليد كالشعر والنثر.
- 3– **الفنون اليدوية (الحيلية)**:ماكان فيها عمل اليد أكثر من عمل العقل كالنحت مثلا[11].

ويشترط فلاسفة الفن في العمل الفني أن يكون "من صناعة الإنسان" وأنتج من أجل إحداث أثر جمالي سار، إنه موضوع متوجه نحونا للإدراك الحسي، ويتم التفاعل معه من خلال علاقة جمالية منزهة عن الغرض، وتسمى هذه العلاقة بالمكون الجمالي، "وهو ذلك الشعور الخاص والخالص الذي ينبعث بداخلنا عندما نتعرض للأعمال الفنية خاصة والجمالية عامة أو نتلقاها، فتحدث فينا تأثيراتها المتميزة التي عادة ما تكون سارة، وإن كان هذا لا يستبعد وجود مشاعر وانفعالات وحالات معرفية جمالية أخرى غير المتعة والبهجة، مثل الشعور بالاكتشاف والتأمل والفهم، والدهشة والاهتمام والتوقع، والشعور

بالغموض وحب الاستطلاع، والتخيل والخوف الممزوج بالشعور بالأمن في الوقت نفسه، وما شابه ذلك من الانفعالات والحالات المصاحبة للخبرة الجمالية"[12].

3- مفهوم الجمال:ظل السؤال: "ما الجمال؟" حجر الزاوية، ومركز النظريات الجمالية منذ ما قبل عصر اليونان إلى اليوم. ذلك لأن الإحساس بالجمال شعور يتملك الإنسان منذ القدم، يحس بهذا الشعور الجمالي في تأمله لذاته، وفي تأمله للطبيعة، وفي رؤيته للآخرين، وفي محيطه الاجتماعي والعمراني. وتذوق الإنسان للجمال والإحساس به يولد الفن بأشكاله المختلفة: لذلك قيل:" **إن الجمال توأم الفن**"، إنه "أجمل معاني القلب والروح والوجدان مافتئ الإنسان يترصده في جميع الأزمنة والأمكنة تدفعه في ذلك رغبة وحاجة جمالية تلح على ضرورة تلبيتها، فنحن لا نتوانى أن ندفع مبلغا ماليا من أجل اقتناء ديوان شعري أو رواية أو حضور حفل غنائي، أو سفر بعيدا عن ضجيج المدينة لنعيش لحظات في رحاب الطبيعة"[13].

قد يكون تذوق الجمال في منظر طبيعي أو لوحة رسم أو قطعة موسيقية، في عمارة مشيدة، في تمثال أو حجر منحوت، في وصلة رقص، أو قصيدة شعرية أو في مسرحية أو رواية ... كما قد يحصل هذا الإحساس في جمال بحيرة لحظة انبلاج الفجر، في انعكاس أشعة الشمس على صفحات المياه، في شروق الشمس وغروبها، في شموخ الجبال، في السماء المرصعة بالنجوم...في ضحكة طفل صغير بل في تأمل كل صغير، أليس كل صغير جميلا ولو كان قطا أو كلبا؟

فما هو هذا الجمال يا ترى؟

قال السوفسطائيون[14] قديما: إنه لا يوجد جميل بطبعه، بل يتوقف الأمر على الظروف وعلى أهواء الناس وعلى مستوى الخبرات السابقة والثقافة والأخلاق.

وقال الفيثاغوريون[15]: إن الجمال يقوم على النظام، والتماثل (السيمترية)، وعلى الانسجام. وأشار (ديمقريطس)[16] إلى أن الجمال هو المتوازن (المعتدل) في مقابل الإفراط والتفريط، وأخضع الجمال للأخلاق. وربط (سقراط) الجمال بالخير ربطا تاما، وكذلك بالنافع أو المفيد. وتناول (أفلاطون) الجمال في ثلاث محاورات على نحو خاص هي : (هيباس الأكبر) و(فايدروس) و(المأدبة) ، واعتبر الجميل مستقلا عن مبدأ الشيء الذي يظهر أو يبدو على أنه جميل. فالجمال صورة عقلية، مثل صورة الحق أو الخير، لذلك فالجمال الحقيقي الذي يفيض قدسية وإشراقا هو في عالم المثل[17].

وإذا ذهبنا إلى (القديس أوغسطين) فإننا نجده يرى أن الجمال يقوم على التمايز والتمازج، أي تحقيق الوحدة في المختلفات، والتناسب العددي، والانسجام بين الأشياء، ولذلك الجميل هو الملائم لذاته، وفي انسجام مع الأشياء الأخرى ، وكل جمال في الجسم يؤكد تناسق الأجزاء مقرونا بلون مناسب[18].

أما القديس (توما الأكويني) فقد عرف الجميل خلال القرون الوسطى بأنه "ذلك الذي لدى رؤيته يسر"، وأنه يسر لمحض كونه موضوعا للتأمل، سواء أكان ذلك عن طريق الحواس أم داخل الذهن ذاته[19].

وقد ارتبط البحث في الجمال خلال القرون الوسطى في الغرب بالديانة المسيحية، أي منبعه من اللاهوت، حيث نظر للجمال "باعتباره إشعاع الحقيقة

أو شعاع الحق، ذلك الذي يشع من خلال الرمز الجمالي الفني أو الطبيعي ويعكس وجود الله"[20].

وإذا عدنا إلى مفهوم **الجمال** عند العرب في الجاهلية ، فإننا نجدهم لم يبحثوا في فلسفة الجمال، أو في مفهوم الجمال باعتبارها فكرة قائمة بذاتها، وإنما نستشف ذلك من خلال أشعارهم ومخيالهم الرؤيوي للكون والحياة. فقد كان للعربي في عصر الجاهلية نظرة فاحصة للجمال بشقيه الحسي (الشكلي) والمعنوي (الجوهري) .

أولا: جانب الجمال الشكلي:مثلا كل شعراء المعلقات تغنوا بجمال المرأة الظاهري حتى أصبحنا أمام"امرأة واحدة في المعادلة الوصفية المقامة لها، قد تسمى نوارا ونعما وفاطمة وعبلة وسعاد... وما إلى ذلك من أسماء، إلا أن هؤلاء النسوة كانت تتعدد أسماؤهن ولا تتعدد شخصيتهن ونفسيتهن ومعاناتهن... لكل من هؤلاء ثغر الأقحوان الندى الذي يضحك في البكور، ولها عين الظبية والجؤذر وقوام الغصن المتأود وكفل كثيب الرمل وساقا القصب المروي المذلل بالماء والشعر الفاحم...[21]، وفي هذا التصور الحسي يعتمد الشاعر الجاهلي على ما يسمى **جمالية لملمة الشتات** المتناثرة في الطبيعة، فيختار من كل كائن في الطبيعة جزءا يبدو جميلا في عيني الشاعر (أيطلاظبي، ساقا نعامة،عينالجؤذر...).

ثانيا: جانب الجمال المعنوي: من الشعراء الجاهليين من رأى أن **جمالالأنا** لا يتعلق بالجمال الحسي الفاني، وإنما يكمن في الجوهر وليس في الشكل، فالجمال الحقيقي هو جمال الروح، جمال النفس والعقل، من رجاحة حجى وعفة وكرم وشجاعة...

فهذا عنترة بن شداد يقول:

يُخْبِرِكِ مَنْ شَهَدَ الوَقيعَةَ أَنَّنِي أَغْشى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ

فَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءُ حَوَيْتُهَا وَيَصُدُّنِي عَنْهَا الحَيَا وَتَكَرُّمِي

ومُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لامُمْعنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ[22]

وهذا السموأل بن عاديا يقول:

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ[23]

4- الحضارة الإسلامية والجمال: جاء الإسلام بالقرآن الكريم معجزة الدهور، يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر، يصور تقلبات القلوب وخلجات النفوس، ويمنح الإنسان الحرية في التأمل الجمالي، فيه دعوة إلى الاغتراف من منهله العذب، لأنه منبع الإشراق الجمالي والإعجاز الفني، وإلى تأمل الطبيعة واستكشاف أسرارها، والتحدث بنعم الله وجمال خلقه حتى يؤمنوا بالخالق العظيم، ويسبحوا بحمده في الليل والنهار[24].

- فالقرآن الكريم يحث الإنسان على الاستمتاع بالجمال المنبث في الكون، أي الجمال السار المبهج المنزه عن الغرض الدال مباشرة على الخالق دون أن يستهدف المتأمل ذلك، فبعد ذكر المنافع والفوائد التي خلقت من أجلها بعض الدواب، قال تعالى: "وَلَكُمْ فِيهَا جَمَال حِين تُرِيحُونَ وَحِين تَسْرَحُونَ"[25]، إنه ذلك الابتهاج النفسي الذي يحسه الراعي في غدوه ورواحه حين يسرح بدوابه في رحاب الطبيعة، وحين يرتاح. كما ذكر القرآن الكريم صفة **الجميل** مرات عديدة ووصف بها تلك النفس الإنسانية التي تتجلى فيها الصفات الإلهية، لأن الله جميل يحب الجمال.

- فمن صفات النفس الجميلة تلك التي تعفو عند المقدرة " ... وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا"[26].

- وتلك التي تصبر ولا تشكو إلا لله، قال عز من من قائل:"...فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا"[27].

- وتلك التي تصفح بلا عتاب أو عقاب، قال تعالى:"فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ"[28].

- وتلك التي تهجر بلا أذى، قال عز وجل:"وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً"[29].

والقارئ لهذا الكتاب الكريم يلحظ عديدا من الألفاظ يضمها معجم دلالي واحد للجمال، وهي (الجمال/الزينة/ البديع/ البهجة/ الاتقان/الحسن...) وهذا التعدد لمعاني الجمال يجعلنا ندرك أن التوجيه القرآني يلفت إلى أن الجمال صميم في الإسلام، ولكنه ليس متروكا للفوضى وليس موكولا للعبث[30].

لقد أحصى أحد الباحثين الألفاظ الدالة على الجمال في القرآن الكريم كما يلي:

- مائة وأربعه وتسعين (194) لفظا تكرر من جذر (ح س ن).
- ستة وأربعين (46) لفظا من جذر (ز ي ن).
- تسعة (09) ألفاظ من جذر (ج م ل).
- ثلاثة (03) ألفاظ من جذر (ب د ع).
- لفظ واحد (01) من (ت ق ن)[31].

فالإسلام يجعل العبادة والجمال صنوين إذ يبدأ ترتيب الوعي بالجمال في التصور الإسلامي من إدراك 'الأسماء الحسنى' التي خصت لله سبحانه وتعالى

"وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"[32].

ثم يفتح الأعين على بدائع الخلق من زينة الكواكب التي زين بها السماء الدنيا إلى الحدائق ذات البهجة التي أنبتها الله وما كان للناس أن ينبتوا شجرتها، ثم يدرج إلى عوالم الحيوان ليري الناس الجمال في الدواب حين يريحون ويسرحون...[33].

وللإسلام حضارة جمالية تعكس خصائص الروح الإسلامية تبتعد عن مجالات خلق الله بالتجسيم أو التصوير ونحت التماثيل مثلما شاع في الحضارة الإغريقية، ذلك أن فلسفة الجمال في الإسلام لا تتقيد بالمحسوس المحدود، وإنما تنطلق إلى الآفاق ولا تتقيد بالحدود، فليس الفن الإسلامي محاكاة بالمفهوم الأفلاطوني أو الأرسطي، وإنما هو في العمارة أو الخط رمز أو إشارة إلى معان باطنية، وارتقاء من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن المادة إلى الروح ما دام يتعذر في واقعنا تجاوز العالم المتناهي إلى المطلق اللامتناهي[34].

وقد عبر الفنان المسلم عن هذا السمو الروحي الجمالي في فن الزخرفة الذي بدأت نشأته في مسجد الصخرة وقصور الأمويين، والتزم فيه بالبعد عن التشبه أو التصوير المادي المحسوس، ذلك أن الفن التجريدي أكثر تعبيرا عن سمو الروحانية، تبعا لتصور المسلمين لله، فهو منزه عن صفات الأجسام لا يحده شكل ولا مقدار، "فالزخرفة الإسلامية عالم مشحون بالرموز الصوفية تمثل فيه الدوائر دورة الفلك ومسيرة الكواكب، ومركز الدائرة نقطة يتصورها العقل ولا تدركها العين، كأنها نقطة تتعلق منها حلقة ذكر، غدت فيه الدائرة الزخرفية تعبيرا عن رياضة صوفية"[35].

واللافت أن قمة الزخرفة والإبداع قد بدت واضحة في تزيين المصاحف والمخطوطات والأبسطة، وكذلك المنسوجات الفاخرة والأخشاب المطعمة بالعاج، وعرف هذا الفن الزخرفي المتميز بتكويناته الهندسية بفن الأرابيسك arabesque الذي برع فيه الصوفية[36].

كل الفنون في الإسلام تؤدي إلى المعراج، ذلك أن "الخلق الجمالي في الكون والعالم والطبيعة ليس هدفا بحد ذاته، وإنما هو وسيلة أريد بها تمكين الإنسان من التحقق بعلاقة أكثر حيوية وتدفقا وحميمية بالكون، الأمر الذي يقوده إلى خالق الكون[37]، ومن هنا جاء قول روجيه غارودي: "في الإسلام كل الفنون تؤدي إلى المسجد والمسجد يؤدي إلى الصلاة[38]".

فمئذنة المسجد كما رأى أحد الباحثين تحمل "دلالة رمزية عميقة على الرغم من كتلتها الحجرية الضخمة، إنها تشكل مع القبة تكوينا جماليا حين يتجاوز ارتفاع مبنى المسجد، لتنطلق فيه المئذنة شاهقة إلى السماء، بينما تعبر القبة عن التطلع إلى الداخل، وإذا كانت القبة تعبر عن السماء إن تطلعت إليها من الداخل، فإنها تبدو منكفئة على نفسها حين ترنو إليها من الخارج، ومن ثم كانت في حاجة إلى مئذنة لتوكيد الأثر الجمالي الشامل[39].

الجمال والعبادة صنوان في الفكر الإسلامي، "لذلك حتى الخط الذي يفترض فيه تبيان ما هو مقروء بحروف واضحة، استحال إلى عنصر زخرفي وبنية متحركة حية، فليست الحقيقة الفنية في محاكاة الصور للأصل الحسي، وإنما في المطابقة مع الحقيقة الكلية، حيث يتجاوز الفنان الجزيئات الزائلة في العالم المحسوس... إلى رمز كلي ليجعل من العمل الفني عبادة تثير في نفس المشاهد

انطباعا ذوقيا باللانهائية وسمو الذات الإلهية عن طريق الرمزية في الفن الهندي"[40].

وللمسلمين حضارة جمالية يشهد بها تاريخهم المعماري والزخرفي، و ما خلفوه لنا من أدوات وأبسطة ومعادن، فقد "برعوا في فن الحفر، وفي صناعة التحف المعدنية وصناعة الزجاج والفسيفساء (الموزايكو) التي تتكون من قطع صغيرة من الزجاج أو الخزف الملون أو الحجارة المتعددة الألوان التي تستخدم في تغطية الجدران"[41].

وقد قسم الباحثون مدارس الفن الرئيسية في الإسلام إلى أربعة أنواع هي: **المدرسة العربية**، ثم **الفارسية (الإيرانية)**، والمدرسة **الهندية المغولية**، ثم المدرسة **التركية (العثمانية)**، لكل مدرسة خصائصها الجمالية، مما يدل على مدى اهتمام المسلمين بالفنون والجماليات لبناء حضارة جمالية، حيث نجد لديهم تاريخا فنيا متكاملا موضحا فيها مصادر استمدادهم للفن وروافد الفنون في حياتهم، خاصة وقد قويت صلتهم ببلاد الشرق الأقصى[42].

ولعل ما أخذه فلاسفة الفن وعلماء الجمال على الحضارة الجمالية الإسلامية هو تحريمها لبعض الفنون مثل فن الرسم أي تصوير الكائنات الحية، أو صناعة التماثيل المجسمة لها، والتحذير من شعر الغواية، ولأن الإنسان يعشق ما تصنع يداه، فقد كان هذا التحريم "هو مبدأ وحدانية الله الذي يعد من المبادئ الأساسية في الاعتقاد الراسخ بتحريم تصوير الأشخاص أو الحيوانات أو عمل تماثيل لهم... لما تسببه هذه الفنون من سقوط البعض في عبادة الأصنام والأوثان، لشدة إعجابهم بالصور والتماثيل الفنية واتخاذها وسائط للعبادة، مما يبعد عن

التنزيه. لهذا السبب فقد اتجه المسلمون في بداية عهدهم بالإسلام إلى هذا التحريم خشية الارتداد إلى الجاهلية[43].

حيث تحدث القرآن الكريم عن عشق الإنسان للنحت والتصوير وصناعة التماثيل في آيات عديدة، واخبرنا أن أقواما كانوا ينحتون من الجبال بيوتا وأن النبي سليمان –عليه السلام– كانت الجن تصنع له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات[44].

وقد جاء هذا الموقف التحريمي لأن عدة حضارات وأمم قبل الإسلام، بالغت في الاحتفال بفنون التصوير والنحت والتماثيل حتى ارتبطت بالتدين الوثني، وكانت التماثيل مجسدة لما ظنه الأولون آلهة. حدث مثل ذلك عند الفراعنة والآشوريين واليونان والرومان والهندوس والعرب، وما من أمة وثنية إلا جسدت التماثيل تجسيدا ثم عكفوا لها عابدين[45].

ومجمل القول: فالإسلام ينظر إلى الفن والجمال على أنهما ليسا حبيسي الحواس، لذلك نقل القرآن الكريم الفن إلى مستوى التجريد، حين ألغت الجمالية الإسلامية فنون التجسيد من مساحة اهتمامها، لتحرر الكفاءة الإبداعية، ولتجعل من التجريد هندسة لا تكاد تعرف الانتهاء. ويمكن إدراك مثل ذلك في (الأرابيسك) الذي يجعل الخطوط تبدأ من نقطة ولاتنتهي عند حد، لا تكاد تلتقي حتى تنطلق نحو آفاق أخرى ممكنة، وفق نظام معجب، كذلك صارت تعبيرا عن معاني الامتداد والاتساع في الكون.

وهذا ما جعل أيضا القرآن الكريم ينفتح على جماليات اللغة فصاحة وبلاغة من حيث إشراق الكلمة المفردة على المستوى المعجمي، وجماليات النظم على المستوى التركيبي، وبدائع المعاني على المستوى الدلالي.

الهوامش:

[1]- ينظر شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الفني)، س عالم المعرفة، رقم (267)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 2001، ص15.

[2]- ينظر أحمد محمود صبحي و صفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة (اليونانية، الاسلامية، الغربية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2003، ص6، 7.

[3]- ينظر الوثائق الرسمية لاعلان مكسيكو بشأن الثقافة، مؤتمر اليونسكو للثقافة، مكسيكو، تموز يوليو، 1982، ص8،9.

[4]- محي الدين صبحي قضايا الثقافة العربية المعاصرة، (د،ط)، 1983، ص9.

[5]- لويس دوللو، الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، تر: عادل العوا، منشورات عويدات (بيروت-باريس)، ط2، 1982، ص 8،9.

[6]- محمد محفوظ، الحضور والمثاقفة (المثقف العربي وتحديات العولمة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص20.

[7]- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 148.

[8]- ينظر جان لاكوست، فلسفة الفن، تعريب: ريم الأمين، مراجعة أنطوان الهاشم، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 2001، ص5-8.

[9]- ينظر جار الله أبي القاسم (الزمخشري)، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمد، دار المعرفة، بيروت، مادة (ف ن ن)، ص348. و المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط31، 1986، مادة (ف ن ن).

[10]- ينظر جان لاكوست، فلسفة الفن، تعريب: ريم الأمين، مراجعة أنطوان الهاشم، ص10.

[11]- ينظر منجد اللغة والأعلام، ص596.

[12]- شاكر عبد الحميد، تفضيل الجمالي، ص29.

[13]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[14]- السوفسطائيون: فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها، وتعتمد الاستدلال والقياس الباطل قصد تمويه الحقائق.

[15]- الفيثاغوريون: هم أتباع فيثاغورس، القرن السادس قبل الميلاد (ق6 ق م): وهو فيلسوف رياضي يوناني إليه يعزى تقويم الحساب المعروف، وقال إن الأرقام هي مبدأ كل الأشياء، واعتقد بتناسق الأرواح، تفرغ لدراسة الحكمة، وعاش مع أتباعه حياة زهد مشتركة.

[16]- ديمقريطسDémokritos(): القرن الخامس قبل الميلاد (ق5 ق م)، فيلسوف يوناني، قال إن كل كائن مركب من ذرات لا تحصى، وإن السعادة تقوم بظبط أهواء النفس، ويعد مؤسس الفلسفة المادية.

[17]- ينظر شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي ، ص14، 15، 16.

[18]- المرجع نفسه، ص15، نقلا عن: عبد الرحمن بدوي، ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994، ص107.

[19]- المرجع نفسه، ص15.

[20]- المرجع نفسه، ص16.

[21]- إيليا الحاوي، الكلاسيكية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1983، ص154.

[22]- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، 1992، ص 172،173.

[23]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مطبعة المعاهد، مصر، 1932، ج2، ص508.

[24]- ينظر علي عبد المعطي محمد و راوية عبد المنعم عباس، الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2003، ص60 وما بعدها.

[25]- سورة النحل، الآية 6.

[26]- سورة الأحزاب، الآية 49.

[27]- سورة المعارج، الآية 5.

[28]- سورة الحجر، الآية 85.

[29]- سورة المزمل، الآية 10.

[30]- ينظر عبد الحميد بورديم، النص الشعري المعاصر (من حضور الوهم إلى بلاغة الشهود)، ص87.
[31]- المرجع نفسه، ص
- سورة الأعراف، الآية 180.[32]
المرجع نفسه، ص 88.[33]
[34] ينظر أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1 2000، ص83.
[35]المرجع نفسه، ص نفسها.
[36]ينظر علي عبد المعطي وراوية عبد المنعم عباس، الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، ص9.
[37] عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مطبعة الرسالة، بيروت، ط1 1987، ص10.
[38] روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة محمد الحسن الأمين، الدار العالمية، بيروت، ط1 (د ت)، ص 182.
[39] ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 15، ع2، 1982، ص83.
[40] أحمد محمود صبحي وصفاء عبد السلام جعفر، فلسفة الحضارة، ص83.
[41]علي عبد المعطي محمد و راوي عبد المنعم عباس، الحس الجمالي وتاريخ التذوق الفني عبر العصور، ص62.
[42] ينظر المرجع نفسه، ص 64،63.
[43]نفسه ص 63.
[44] يتجلى ذلك في قوله تعالى: "يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفال كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور" سورة سبأ، الآية 13.
[45] ينظر عبد الحميد بورديم، النص الشعري المعاصر، ص 88